كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذة: نسيمة غضبان

المستوى/التخصص:الأولى ماستر /اللسانيات العربية(الأفواج 1-2-3)

المقياس :ببليوغرافيا علوم اللسان العربي الحديثة

عنوان الدرس التطبيقي:جهود جورجي زيدان اللغوية : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ،وكتاب اللغة العربية كائن حي .

المدة الزمنية: ساعة ونصف

الأهداف التعليمية:

- الإلمام بالجهود اللغوية التي بذلها جورجي زيدان من خلال كتابه: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية .
- حصر الجهود اللغوية التي بذلها الكاتب، من خلال كتابه اللغة العربية كائن حي.

1/التعريف بالمؤلف :

جُرجي زيدان: مفكّرٌ لبناني، يُعَدُّ رائدًا من روَّادِ تجديدِ علمِ التاريخِ واللّسانيَّات، وأحدَ روَّادِ الروايةِ التاريخيةِ العربية، وعَلَمًا من أعلامِ النهضةِ الصحفيةِ، والأدبيةِ، والعلميةِ الحديثةِ في العالَمِ العربي، وهو من أخصبِ مؤلّفي العصرِ الحديثِ إنتاجًا.

وُلِدَ في بيروتَ عامَ ١٨٦١م لأسرةٍ مسيحيةٍ فقيرة، وبالرغمِ من شغفه بالمعرفةِ والقراءة، فإنه لم يُكملْ تعليمَه بسببِ الظروفِ المعيشيةِ الصعبة، إلا أنه أتقنَ اللغتَينِ الفرنسيةَ والإنجليزية، وقد عاوَدَ الدراسةَ بعدَ ذلك، وانضمَّ إلى كليةِ الطب، لكنَّه عدَلَ عن إكمالِ دراستِه فيها، وانتقلَ إلى كليةِ الصيدلة، وما لبِثَ أن عدَلَ عن الدراسةِ فيها هي الأخرى، ولكنْ بعدَ أن نالَ شهادةَ نجاحٍ في كلٍّ منَ اللغةِ اللاتينيةِ ،والطبيعياتِ، والحيوانِ، والنباتِ، والكيمياءِ، والتحليل.

سافَرَ إلى القاهرة، وعملَ محرِّرًا بجريدةِ «الزمان» اليوميَّة، ثُم انتقلَ بعدَها للعملِ مترجمًا في مكتبِ المُخابراتِ البريطانيةِ بالقاهرةِ عامَ ١٨٨٤م، ورافَقَ الحملةَ الإنجليزيةَ المتوجِّهةَ إلى السودانِ لفكِّ الحصارِ

الذي أقامَته جيوشُ المَهدي على القائدِ الإنجليزيِّ «غوردون». عادَ بعدَها إلى وطنِه لبنان، ثم سافرَ إلى لندن، واجتمعَ بكثيرٍ من المُستشرقينَ الذين كانَ لهم أثرٌ كبيرٌ في تكوينِه الفِكْري، ثم عادَ إلى القاهرةِ ليُصدرَ مجلةَ «الهلال» التي كانَ يقومُ على تحريرِها بنفسِه، وقد أصبحَتْ من أوسعِ المَجلاتِ انتشاراً، وأكثرِها شُهرةً في مصرَ والعالَمِ العربي.

رحَلَ عن عالَمِنا عامَ ١٩١٤م، ورثَاه حينَذاك كثيرٌ مِنَ الشُّعراءِ أمثال: أحمد شوقي، وخليل مطران، وحافظ إبراهيم.

2/ مُؤلّفاته:له مؤلفات في شتى المجالات ، لكننا سنذكر منها ما تخصص فيه في اللغة العربية وآدابها ، وهذه المؤلفات هي:

- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية –بيروت 1889
- تاريخ آداب اللغة العربية –أربعة أجزاء– مصر 1911.
- اللغة العربية كائن حي –بيروت 1988 –طبعة ثانية

3/ جهوده اللغوية في كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية :

تأثر جرجي زيدان بنظرية «النشوء والارتقاء» التي صاغها تشارلز داروين، وحاول أن يطبق نظرية التطور على اللغة العربية، فأصدر في سنة 1886 كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ليبحث نشوء اللغة العربية وتطورها، باعتبارها لغة اكتسابية وخاضعة لناموس الارتقاء. ثم درس كيف نطق الإنسان العربي الأول المفردات، وكيف تولدت الألفاظ، وعلاقة الألفاظ بالأصوات، ثم كيف نشأت اللغة. أما كتابه تاريخ اللغة العربية، فهو بحث معمق ينتمي إلى السياق الفكري نفسه لدى جرجي زيدان، وهو يتناول تاريخ اللغة، ومعاني الألفاظ، وأصولها، وتحولاتها، وتراكيبها، وما دثر منها وما تولد عنها. وقد ارتأى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أن يعيد إصدار هذين الكتابين ويجمعهما في كتاب واحد.

منذ بداية الكتاب، يعلن زيدان أنّه يرفع دراسته إلى أهل النظر والتحقيق، لمزيد من التأمل والنظر، بمعنى أنّ كتابه ليس لعامة المثقفين، الذين لم يأنسوا كتب النظر العقلية، فما بالك بكتاب ينظر في دقيقة لغوية تنتمي إلى المباحث اللغوية العقلية المحضة. أما الإشكال العامّ للكتاب فهو: كيف نشأت اللغة العربية وتكونّت؟

للإجابة عن هذا السؤال، وبعد تحديد مفهوم اللغة العربية، دار البحث فيه حول خمس قضايا، تتلوها خمس نتائج، أما القضايا فهي:

أ- الألفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد، وأن هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمي الاعتبار هما: القلب والإبدال؛ الأول – القلب – يميل إلى تخفيف اللفظ أو التفنن فيه. والثاني – الإبدالُ – يأتي نتيجة علة طبيعية في أعضاء النطق في أول الأمر، ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات، وربما خصصوا كل تنوع لفظي بتنوع من المعنى الأصلي، ويشبه ذلك ما حدث في العامية المصرية.

ب- الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها، إنما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها؛

والدليل أن استقراء هذه الألفاظ في لغات متفاوتة، يري أنها تقرب من الدالة على معنى في نفسها، بقدر ما تبتعد من الارتقاء والتهذيب، حتى نصل أخيراً إلى أدنى اللغات، فنراها خالية من الأدوات والحروف على الإطلاق، ولكنها تستخدم بعض الأفعال أو الأسماء لقضاء وظيفتها... من ثمة صحّ أن الاشتقاق والتصريف مثلا، حادثان في اللغة يتبعان بيئة الأمة التي ينتميان إليها فقط. أما أصل الألفاظ فهو البساطة، ثم تتكاثر بارتقاء تلك اللغة. وعليه يستنتج الكتاب أن اللغة العربية من أرقى اللغات بياناً.

ج- الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها، يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية أحادية المقطع، تحاكي أصواتاً طبيعية؛ حيث تشتمل على الاسم والفعل وما يشتق منهما، وإن ردهما اللغويون إلى أصول ثلاثية أو رباعية، فإن الكتاب ردها إلى أصول أقل من ذلك، تحاكي أصواتاً طبيعية ومن كون ألفاظ اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظاً ومعنى، على أن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها، يرد معظمها إلى أصول ثنائية أحادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية.

د- جميع الألفاظ المطلقة ،كالضمائر وأسماء الإشارة ونحوها، قابلة الرد بالاستقراء إلى لفظ واحد، أو بضعة ألفاظ؛ حيث تمكنُ الدلالة بواحدة منها على أي نوع من الموجودات، تشمل الضمائر واسم الإشارة والاسم الموصول، مع العلم أن هذه الألفاظ كما لاحظ جرجي زيدان، تكاد تكون واحدة جميعها، وأنها من الأدلة الواضحة على وحدة الأصل فيها. كما يؤكد أن تحسن الإشارة عند الاقتضاء إلى أوجه المشابهة بينها، لعلها تسعفنا في تتبع الأصل المتفرعة عنه كل هذه الفروع.

هـ- ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ، وضع أصلاً للدلالة الحسية، ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية؛ وبالتالي فإن الدلالة الحسية هي الأصل، والمعنوية هي الفرع، حملت مجازاً لتشابه في الصور الذهنية ؛لأن المحسوسات كما يؤكد جرجي زيدان ،هي أول ما تستلفت انتباه الإنسان، وهي سابقة في ذهنه على المعنويات؛ لأنه في أبسط أحوال عيشه لم يكن في احتياج إلا للمعاني الحسية.

ومن النتائج التي خلص إليها الكتاب، الآتي:

يلاحظ جرجي زيدان أن الاختلافات الموجودة بين اللغات، إنما ترجع إلى ما عليه اللغة من التعرض للمؤثرات الخارجية، التي طالما غيرت ولم تزل تغير من سائر أحوالنا، عملاً بناموس الارتقاء العام. وهذا

الاختلاف في الألفاظ، يلاحظ في الأمة الواحدة لعلة طبيعية في أعضاء النطق. ومن الأمور المثيرة التي يتوقف عندها الكتاب، أن اللغة العربية من أسمى اللغات السامية، التي تعد معرفتها ضرورية لإتقان أخواتها. وقد كانت محصورة في شبه جزيرة العرب. فلما زهر الإسلام، أخذت في الانتشار إلى أن ملأت الخافقين[1] بسبب الفتوح الإسلامية المشهورة، فامتدت من الشرق إلى الغرب بين أواسط الهند وبوغاز جبل طارق، ومن الشمال إلى الجنوب بين البحر الأسود وبحر العرب... فعمت معظم العالم المتمدن في ذلك الحين.

ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب ،حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها ،كما حصل في فروع اللغة اللاتينية، لكن محافظة المتكلمين بالعربية على لغة القرآن، والرجوع إليها فيما يكتبونه ويخطبون فيه، جعل لغاتهم المولدة مرجعاً، يجمع لغاتهم إلى أصل واحد لا يخفى. ثم مسألة أخرى يؤكدها جرجي زيدان، أن اللغة أصولها قليلة، محاكاة من "الطبيعة" أو أصوات "الغريزة"، ومن هذه الأصول القليلة نشأت الأفكار، وتعددت الألفاظ بتعدد احتياجات المتكلمين بها، وتعدد أشكال التعبير ومعاني الألفاظ بتنوع الأحوال.

إنّ تعدد الألفاظ وأحوال التعبير جرت على طرق أهمها أربع، بحسب جرجي زيدان: النحت والإبدال، والقلب والاستعارة، وقد حصل ذلك قبل أن تفترق اللغة العربية ولا تزال في حجر أمها، وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن أخواتها السامية العبرانية والسريانية وغيرهما، أي إذ كانت رهن لغة واحدة.

و أنّ التفرعات، والتنوعات، والأدوات اللغوية، وطرق الاشتقاق، والتصريف، قد بلغت معظم ارتقائها في أزمنة غاب عن الإنسان حدها. لكن الأسئلة التي تبقى قائمة في هذا السياق، كلها تدور كلها حول منشأ أصل اللغات السامية أو الآرامية التي توصف بكونها "أم اللغات"؟.

خلاصة القول، إنّ كتاب جرجي زيدان " **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية**"، يعدّ علامة فارقة في الدراسات اللغوية العربية في عصر النهضة، وقد أحسن المركز العربي للأبحاث، ودراسة السياسات بإعادة إصدار هذا الكتاب، نظراً لأهميته التاريخية، والمعرفية، والفلسفية اللغوية، لأن مسألة اللغة العربية وإنعاشها وتطورها –كما جاء في المقدمة – باتت شديدة الحيوية اليوم، في عصر متسارع يكادُ يبيد كل قديم.

4/ جهوده اللغوية في كتابه اللغة العربية كائن حي:

يعد كتاب "اللغة العربية كائن حيّ"، إضافة خاصّة للعربية في نظرته العامّة للفلسفة اللغوية؛ فيتحدث فيه عن مراحل تطوّر وتنوع معاني، ومدلولات ألفاظ العربية، و توظيفاتها عبر العصور. إضافة لاختلاف تراكيبها وأساليبها. كما يتحدّث أيضا عن الدخيل منها في كلّ مرحلة تاريخية.

كان جرجي زيدان على دراية واسعة بالحقل اللغوي نظريا وعمليا، فمن الناحية النظرية اهتم زيدان

[1] الخافقان :هما أفق المشرق وأفق المغرب ؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .

بالدراسات المتعلقة بفلسفة اللغة وتاريخها، بالإضافة إلى دراسته لفقه اللغة المقارن، كما أنه كان على اطلاع بالنظريات اللغوية الحديثة في زمنه، أما من الناحية العملية، فقد أجاد العربية، والعبرية، والسريانية، واللاتينية، والإنجليزية، والفرنسية، الألمانية، كما كان على دراية بالإيطالية ،والإسبانية وتمكنه من هذه اللغات ،جعله يتمكن من فهم ما يقرأ، وقد دفعه هذا الإلمام الكبير بالميدان اللغوي، إلى تقديم هذا الكتاب الذي يتناول فيه تاريخ اللغة العربية، وما طرأ عليها من التغيير بالتجدد والاندثار، فبين لنا كيف تندثر ألفاظ وتراكيب وتولد أخرى، وكيف تقضي الأحوال لهذا المولد الجديد، وذاك الدثور القديم.

وهو يقسم المتابعة التاريخية للغة العربية في هذا الكتاب إلى عدة نقاط هي: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والألفاظ الإدارية في الدولة العربية، والألفاظ العلمية في الدولة العربية، والألفاظ العامة في الدولة العربية، والألفاظ المسيحية واليهودية، والألفاظ الدخيلة من اللغات الأعجمية :كالتركية والكردية، والنهضة الحديثة، التي اقتبست فيها العربية من اللغات الإفرنجية، وفي هذا الشأن يقول:"هذا كتاب صغير في بحث جديد، تنبّهنا له ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا الفلسفة اللغوية ؛لأنّ موضوعه تابع لموضوعنا. أو هي خطوة ثانية في تاريخ اللغة باعتبار منشئها وتكوّنها ونموها..

فالفلسفة اللغوية تبحث في: كيف نطق الإنسان الأول؟وكيف نشأت اللغة ،وتولّدت الألفاظ من حكاية الأصوات الخارجية؟ كقصف الرعد، وهبوب الرياح، والقطع والكسر، وحكاية التف والنفخ والصفير ونحوها.. ومن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزيا كالتأوه، والزفير. وكيف تنوّعت تلك الأصوات لفظا ومعنى بالنحت، والإبدال، والقلب، حتى صارت ألفاظا مستقلة وتكوّنت الأفعال، والأسماء، والحروف وصارت اللغة على نحو ما هي عليه؟"[1].

ويضيف قائلا:"وأما تاريخ اللغة فيتناول النظر في ألفاظها وتراكيبها، بعد تمام تكوّنها، فيبحث فيما طرأ عليهما من التغيير، والتجدد، أو الدثور، فيبين الألفاظ والتراكيب التي دثرت من اللغة بالاستعمال، وما قام مقامها من الألفاظ الجديدة، والتراكيب الجديدة، بما تولّد فيها، أو اقتبسته من سواها، مع بيان الأحوال التي قضت بدثور القديم وتولد الجديد، وأمثلة مما دثر، أو أهمل، أو تولّد، أو دخل.**وهو بحث لغوي تاريخي فلسفي قسّمنا الكلام فيه إلى ثمانية فصول، باعتبار الأدوار التي مرّت على اللغة** وهي:

1-العصر الجاهلي: ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها إلى ظهور الإسلام..وأوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الألفاظ الأعجمية من اللغات الحبشية ، والسنسكريتية، والهيروغليفية، واليونانية، وغيرها،

[1] جورجي زيدان ، اللغة العربية كائن حي ،نشر ، كلمات عربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، مقدمة المؤلف ،ص 07

وأسندنا ذلك إلى أسباب تاريخية. وذكرنا القاعدة في تعيين أصول تلك الألفاظ، وأمثلة مما تولّد في اللغة نفسها من الألفاظ الجديدة، وأيّدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها، أو بالنظر إلى ألفاظها بحدّ ذاتها.

2–العصر الإسلامي: ونريد به ما حدث في اللغة بعد الإسلام من الألفاظ الإسلامية، مما اقتضاه الشرع، والفقه، والعلوم اللغوية، ونحوها.

3–الألفاظ الادارية في الدولة العربية: وتشمل ما دخل اللغة العربية من الألفاظ الإدارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي، عند إنشاء دولة العرب..وهي إما دخيلة، وإما مولّدة. ويتخلّل ذلك بحث في كيفية انتقال اللفظ من معنى إلى آخر.

4–الألفاظ العلمية في الدولة العربية: ويدخل فيها الألفاظ والتراكيب التي اقتضاها نقل العلم، والفلسفة من اليونانية وغيرها، إلى اللغة العربية في العصر العباسي.

5–الألفاظ العامة في الدولة العربية: وهي الألفاظ التي تولّدت في اللغة، أو دخلتها بغير طريق الشرع، أو العلم، كالألفاظ الاجتماعية ونحوها.

6–الألفاظ النصرانية واليهودية: وهي ما دخل اللغة العربية من الألفاظ، والتراكيب السريانية، أو العبرانية بنقل الكتب النصرانية إلى العربية.

7–الألفاظ الدخيلة في الدول الأعجمية: وتتناول ما اكتسبته اللغة من الألفاظ الأعجمية بعد زوال الدول العربية، وتولي الدول التركية والكردية وغيرها.

8–النهضة الحديثة: وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولّد الألفاظ الجديدة. واقتباس الألفاظ الإفرنجية، للتعبير عما حدث من المعاني الجديدة في العلم، والصناعة، والتجارة، والإدارة وغيرها."[1]

ونجد من خلال اطلاعنا على الكتاب أن جورجي زيدان قد أخضع اللغة العربية لنواميس الحياة، التي يمر بها الإنسان منذ ولادته، باعتباره كائنا حيا ينمو ويتطور، وذلك هو شأن اللغة العربية ، وفي هذا الشأن يقول جورجي زيدان :"وصدّرنا الكتاب بتمهيد في نواميس الحياة وخضوع اللغة لها، وختمناه بفصل في لغة الدواوين، وخلاصة في مجمل ما تقدّم. على أنّنا نعد ما كتبناه في هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة، فتحنا بها باب البحث لأئمة الإنشاء، وعلماء اللغة..فنتقدم إليهم أن يوفوا الموضوع حقّه، أو يزيدونا منه لأنه يحتاج إلى بحث كثير، ودرس طويل. وقد أصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم، والأدب، والشعر، في غاية الافتقار إليه..ليعلم حملة الأقلام أن **اللغة كائن حي نام** خاضع لناموس الارتقاء، وتتجدّد ألفاظها، وتراكيبها على الدوام.. فلا يتهيّبون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له. وقد يكون تهيّبهم مانعا من استثمار قرائحهم، وربما ترتّب على إطلاق سراح أقلامهم فوائد عظمى تعود

[1] المصدر السابق ، مقدمة المؤلف ،ص07،08

على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل. ولابد من اعتبار القواعد العامة، والروابط الأساسية، مما أشرنا إليه في محلّه.. ناهيك بما ينجم عن معرفة أصل الكلمة، وتاريخها من تفهم معناها الحقيقي."[1]

ونواميس الحياة التي تحدث عنها المؤلف في كتابه هي:"النمو، أو التجدّد، وهو ينطوي على دثور الأنسجة، وتولّد ما يحلّ محلّها.. ومعنى ذلك؛ أن الجسم الحيّ مؤلّف من خلايا لكلّ منها حياة مستقلّة، إذا انقضت ماتت الخلية وانحلّت أجزاؤها وانصرفت، وتولّدت في مكانها خلية جديدة تتكوّن من العصارات الغذائية، كالدم ونحوه.. فالجسم الحيّ في انحلال وتولّد دائمين. حتى قالوا: إن جسم الإنسان يتجدّد كله في بضع سنين، أي لا يبقى فيه شيء من المواد التي كان يتألّف منها قبلا. وبغير هذا التجديد لا يكون الجسم حيّا. وإذا حدث في جسم الحيوان ما يمنع من تجدّد الأنسجة أسرع إليه الفناء.. فالتجدّد ضروري للحياة.وحياة الأمة مثل حياة الفرد، بل هي ظاهرة فيها أكثر من ظهورها فيه. لأن الأمة إنما تحيا بدثور القديم، وتولّد الجديد.. فكأن أفراد الأمة خلايا يتألّف منها بدن تلك الأمة، وهو يتجدّد في قرن كما يتجدّد جسم الإنسان في عقد من عقود تلك القرون. وإذا تتبّعنا نمو الأمة بتوالي الأجيال، رأيناها تتفرّع وتتشعّب..فتصير الأمة الواحدة أُممًا يتفاوت البعد بينها بتفاوت الأزمان والأحوال. وكلّ أمة من هذه تتشعّب بتوالي الدهور إلى أمم، وهكذا إلى غير حدّ.. وهو ما يعبّرون عنه بناموس الارتقاء العام."[2]

اللغة كائن حي:و إحياء اللغة العربية في نظر جورجي زيدان ،"ينبع الأحياء في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر الحياة أو توابعها، وخاصة ما يتعلّق منها بأعمال العقل في الإنسان، كاللغة والعادات، والديانات، والشرائع، والعلوم، والآداب، ونحوها.. فهذه تعدّ من ظواهر حياة الأمة، وهي خاضعة لناموس النمو، والتجدّد، ولناموس الارتقاء العام. ولكلّ من هذه الظواهر تاريخ فلسفيّ طويل، نعبّر عنه بتاريخ تمدّن الأمة، أو تاريخ آدابها، أو علومها، أو حكوماتها، أو دياناتها، أو نحو ذلك. وهي أبحاث شائقة، فيها فلسفة نظر.. ومن هذا القبيل تاريخ اللغة وآدابها."[3].

---

[1] المصدر نفسه ،ص08،09

[2] المصدر السابق، ص11

[3] المصدر نفسه، ص 12